مؤن الجيش وتداعياتها على مزارعي بيزنطة (١٠٨١-١١٨٠م)

هبة رمضان محمود العويدي *

heba_ramdan@women.asu.edu.eg

ملخص

تميزت الأراضي البيزنطية بخصوبة أراضيها وتنوع محاصيلها، ورغم مساحاتها الشاسعة فإن فئات بعينها قد سيطرت عليها واستأثرت بخيراتها، وعلى رأس الفئات الحكومة البيزنطية وكبار قادة الجيش والمؤسسات الكنسية، أما عامة الشعب البيزنطي فعلى الرغم من امتلاك جماعات منهم لبعض المساحات فالأغلبية العظمى منهم كانوا إما عمالا في هذه الأراضي أو مستأجرين لها، وفي كلتا الحالتين كانت ظروفهم الاجتماعية سيئة للغاية؛ بسبب كثرة الأعباء المفروضة عليهم، والتي تعددت في شكل ضرائب متزايدة ومتنوعة باستمرار بحجة الصالح العام للدولة، وأخرى في تقديم مؤن للأسطول البيزنطي وللجيوش التي تناثرت في جميع أنحاء الإمبراطورية، فضلا عن إيوائهم شتاء وتقديم المؤن لغيرهم من الموظفين الإمبراطوريين، هذا ولم تكن أراضيهم بمنأى عن اعتداء الجنود متباينى الأصول والجنسيات، وجاءت الحملات الصليبية لتزيد الأمر سوءا عليهم خلال مرورها بالأراضي البيزنطية واعتدائها عليهم، وكان جل ما يهم الحكومة البيزنطية أن تجمع الأموال بشتى السبل من هؤلاء البؤساء، ولم يضعف جامعو الضرائب أمام توسلاتهم، وانحدر وضعهم الاجتماعي تدريجيا إلى أن أصبح الكثيرون منهم يعيشون مثل العبيد.

كلمات مفتاحية: مؤن الجيش – مزارعو بيزنطة – التداعيات الاجتماعية والاقتصادية

* مدرس تاريخ العصور الوسطى - كلية البنات جامعة عين شمس.

أنتجت الأراضي البيزنطية جميع محاصيل البحر المتوسط المعتادة، وهي الحبوب، والبقول، والنبيذ، والخضروات، وشجر الزيتون الذي ينمو في معظم المناطق الساحلية، فضلاً عن العنب، والفواكه الأخرى مثل التين، والبطيخ، والتفاح، والكمثرى، والبرقوق، والكرز، والخوخ، والرمان، واللوز، والفستق، وكانت الفاكهة تمثل مصدر ربح للمزارعين قرب المدن الصغيرة أو الكبيرة، وحظيت زراعة البقوليات بأهمية خاصة نظرًا لفاعليتها في استعادة التربة، ودورها في النظام الغذائي اليومي، خاصة لدى الفقراء في المدن والضواحي(١). وكان من المعتاد تقسيم الأراضي إلى أقسام ثلاث؛ حيث ورد في قانون الفلاح νόμος γεωργικό أنه تم تقسيم ممتلكات أحد الشخصيات العامة التي تألفت من تسعمائة فدان إلى ثلاثة حقول، كل منها قُسم إلى أربعمائة قطعة، وهذه الحقول كانت تزرع بالتناوب، فأحدهما يزرع قمحًا، والثاني يزرع بمحاصيل الربيع، أما الحقل الثالث فيبقى خاليًا من الزراعة خاليا للحفاظ على خصوبته، وهذه الحقول جميعها تقسم بين المستأجرين παροικοι، وبينها حدود عبارة عن شريط صغير من العشب(٢).

وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر كان القمح والشعير يمثلان أهم المحاصيل على الإطلاق، لكن النسبة بين المحصولين لم تكن واضحة؛ حيث لعبت الجغرافيا وخصوبة التربة دورًا هاما في توزيع المحاصيل، لكن الشعير كان الأقوى تحملا من القمح بصفة عامة، أما مناطق إنتاج الحبوب الرئيسة فكانت في الأقاليم الساحلية التي تطل على بحر إيجة Aegean Sea والبحر الأبيض المتوسط مثل بلغاريا Bulgaria، وتساليا Thessaly،

وتراقياThrace، ومقدونيا Macedonia ، وبثينيا Bithynia، وبونتوس Pontus، وتصدر إلى أهالي القسطنطينية، وقد اهتم الأباطرة بهذه الأماكن وأعادوا توطينها، وتحتل هذه المناطق المكانة الأولى في توزيع أختام المسؤولين عن مخازن الحبوب ويطلق عليهم أنوناريوس "Annonarioi" أو هورياريوس "Horreiarioi" وكذلك أنتجت هذه المناطق كميات كبيرة من زيت الزيتون والنبيذ، فضلا عن تربية بعض الحيوانات فيها وتربية النحل(٣).

استلزم الإنفاق على الجيش والأسطول نظامًا ضريبيًا محكمًا؛ فقد كان المرتزقة الجدد يرهقون الدولة بالنفقات المتزايدة، وكانت ضريبة الأرض أساس المالية البيزنطية، ويتم تحديد جملة الضرائب المطلوب جبايتها بمرسوم عام، ويحدد الوالي والحكام التابعون له القدر المطلوب من كل منطقة، وكانت وحدة الضرائب قطعة من الأرض تسمى iugum تتفاوت في الحجم حسب قدرة الأرض على الإنتاج، ونوع المحاصيل التي تنتجها، وعندما تزداد القوات فإن العبء يصبح أثقل؛ خاصة عندما يشارك الإمبراطور وحرسه وحاشيته في الحملات، حيث يتوجب على كل إقليم يمر به الجيش أن يوفر المؤن اللازمة لهذه القوات من قمح وزيت ونبيذ وغيره(٤). وكان من المعتاد أن يقوم خبراء من النبلاء الرومان بمهمة تسجيل الأراضي الخاضعة للضرائب في المقاطعات، وعمل سجل ضريبي لها، وتعيين ما عليها من ضرائب(٥)، إلا أن ألكسيوس الأول كومنينAlexius I Comnenus (١٠٨١-١١١٨م) لم يلتزم بذلك، وعين شخصيات ليست من علية القوم أو أشرافهم لجمع الضرائب(٦) . والأكثر من ذلك أنه سلم الأراضي البيزنطية التي كان يعمل فيها الفلاحون ويدفعون ضرائب الدولة إلى المرتزقة الأجانب من خلال وثائق ومراسيم

إمبراطورية[٧]. واتبع ابنه يوحنا كومنين John II Comnenus (١١١٨-١١٤٣م) السياسة نفسها في توزيع أراضي الإمبراطورية الخصبة على الأجانب[٨]. وزاد مانويل كومنين Manuel I Comnenus (١١٤٣-١١٨٠م) عليهم فقد كان شديد الظلم للبيزنطيين في الضرائب الإضافية التي كان يفرضها عليهم، ويستنكر خونياتس Choniates أفعاله مؤكدًا أنه لم يكن يثق في البيزنطيين، وينظر إليهم كأنهم عبيد طامعون في الأموال فحسب، وأن اللاتين في عهده قد سبحوا في أنهار من المال، وقلدهم منصب القضاء وكأنهم أصبحوا خبراء في القانون، وجعلهم يسجلون الأراضي ويحددون الضرائب ؛ لذا لم يجد البيزنطيون مفرًا من أن يساندوا هؤلاء الأجانب الذين يستخدمونهم في جمع الضرائب، فيجمعون النقود ويقدمونها لهم، ورغم أن اللاتين كانوا يحتفظون لأنفسهم بالكثير من هذه الأموال ولا يقدمون للخزانة الإمبراطورية سوى القليل؛ إلا أن الرومان كانوا مضطرين لدفع الضرائب لهؤلاء البرابرة من اللاتين وغيرهم من الأتراك [٩].

وذكر لنا خونياتس العديد من الشخصيات التي سيطرت على الضرائب في عهد أسرة آل كومنين، وكانت شديدة الظلم للبيزنطيين، ومنهم جريجوري كاماتيروس Gregory Kamateros الذي تدرج في الرتب العسكرية في عهد ألكسيوس- رغم أنه لم ينحدر من سلالة النبلاء- إلى أن شغل منصب رئيس ديوان البريد Logothete tou dromou وجمع أموالا طائلة من وراء فرض الضرائب في عهد يوحنا كومنين، وأيضا يوحنا بوتز John Poutze الذى شغل منصب وكيل الضرائب العامة والمفوض الإمبراطوري في عهد

مانويل كومنين، فضلا عن كونه رئيسا للحسابات، وكان هذا الرجل شديد الاستبداد يجمع ضرائب باهظة وظالمة ويتفنن في ابتكار ضرائب جديدة، ولم يكن يرحم أحدا من البيزنطيين ولا يضعف أمام دموعهم(١٠)، ويبدو أن عدم الثقة في البيزنطيين كان سمة بارزة في أباطرة هذه الأسرة؛ حيث تشير آنّا كومنينا أن أباها ألكسيوس كومنين لم يتوان عن حماية نفسه باللاتين وغيرهم؛ لأن الروح الثورية التي طبع عليها الشعب البيزنطي كانت تضايق أباها، وتؤكد أن خوفه من هؤلاء الرعايا كان يفوق خوفه ممن سواهم(١١). وبصفة عامة كانت الدولة مقسمة إلى مقاطعات، وكان الظلم بارزا في تقسيم الأرض، إذ إن الملاك الأساسيين هم الدولة وكبار قادة الجيش وأصحاب المؤسسات الكنسية، أما كبار الملاك فلا يزرعون الأرض؛ بل يعيشون خارج الأحياء، ويتسلمون الإيجار من الفلاحين الذين يقومون بزراعة أراضيهم، وكان جميع المزارعين مسؤولين عن الضرائب في الناحية التي ينتمون ، وإذا حدث ولم يستطع أحد المزارعين دفع الضريبة فيجب على بقية المزارعين أن يساعدوه، وإذا لم يكن لدى المزارع وسيلة لزراعة أرضه؛ فقد يتركها لجاره ليزرعها (١٢).

والقوانين السائدة حينئذ فيما يتعلق بالضرائب وغيرها تم تجميعها من قوانين ثيودوسيوس ومتجددات جستنيان ودخلت عليها تعديلات أخرى، واتسمت هذه القوانين بالصلابة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية، وعندما عُدِّلت

جاءت في الأساس لصالح كبار ملاك الأراضي ولصالح الخزانة العامة في شكل ضرائب [١٣]. ومن المفترض أنه لم يكن للمزارع الحق القانوني في مغادرة أرضه، ولم يكن واضحا مدى تطبيق هذا القانون؛ لأن زملاءه أحيانا ما كانوا يأخذون أرضه ويزرعونها ويدفعون عنها الضرائب، وربما تقوم أسرة المزارع بزراعة الأرض، وفي جميع الحالات يجب أن تتحمل أرض هذا المزارع نصيبها من الضرائب، أو يدفعها عنه زملاؤه الفلاحون، وعند عودة المزارع لا يتم تغريمه، وفي حالة ما إذا سافر المزارع ثم دفع ما عليه من ضرائب للخزانة العامة فيتم تغريم من يستولي على أرضه بضعف الضريبة[١٤].

وبالنسبة للجنود البيزنطيين فقد أمر القانون ألا يتم تكليفهم بدفع أية ضرائب؛ لأن الخدمة العسكرية تكفي، وبذلك يتساوى الجنود مع غيرهم ممن يدفعون الضريبة، لكن عند بناء قلعة أو سفينة أو رفع جسر أو تخطيط طريق أو أي شيء تتطلبه إدارة الدولة، ولم تكف الأموال العامة لتغطية نفقات العمل، فعلى كل شخص أن يساهم بعدل ومساواة، ولا يُستثنى أحد من هذه الخدمة – بالتهرب عن طريق الرشوة أو علاقات الصداقة – سواء أكان غنيًّا أم فقيرًا[١٥] . والمسئول المالي عن الخزانة العامة للدولة هو لوغوثيت الخزانة Logothete of the genikon الذي كان مسئولا عن ضريبة الأراضي، وصيانة القنوات، وجمع الإيرادات من المناجم، فضلا عن إشرافه على أقسام أخرى تتعلق بجمع وتقييم الضرائب. ويعمل تحت إشرافه مجموعة من الموظفين الإمبراطوريين، من بينهم المفوض الإمبراطوري مفتش الضرائب، ويدعي ton Logistes foron [١٦]. والطبيعي أن الحكومة

البيزنطية كانت تفرض على أصحاب الأملاك الزراعية عشر غلالهم ضريبة لتموين الجيش [١٧]. ويبدو أنه كان من المعتاد أن تزداد ضريبة الأرض مع الوقت[١٨]، مع إعفاء الجنود المتطوعين في الخدمة العسكرية[١٩]، وإعفاء الشخص الذي تجاوز السبعين عاما، وكذلك من لديه خمسة أطفال ، كل هؤلاء يتم إعفائهم من الضريبة العينية والالتزامات المدنية الأخرى في قانون الفلاح[٢٠]. وأحيانا كان الأباطرة يفرضون رسوما إضافية على المزارعين، مثلما فعل الإمبراطور مانويل؛ حيث قام بفرض ما يسمي Paroikoi (Coloni) على المستأجرين القرويين لأراضي الكنيسة أو الدير أو المؤسسات، وكانت في شكل ضريبة الموقد كي يروي عطش الجيش للأموال، ويستنكر خونياتس هذه الضريبة وغيرها، مشيرا إلى أنها كانت سببا في إضعاف هذه القوات الكسولة التي أساءت إلى المقاطعات البيزنطية؛ بسبب الأموال الطائلة التي أغدقها عليهم، كما فقد الجنود الشجعان أهميتهم؛ لأنهم لم يجدوا من يحفزهم على الأعمال البطولية، وأصبح هدف كل منهم جمع المال؛ مما ضاعف معاناة سكان المقاطعات، جراء طمع القوات العسكرية؛ فلم تكتف هذه القوات بسرقة الفضة من الناس، بل كانوا أحيانا يسرقون ملابسهم أو يخطفونهم بعد سرقة ما لديهم، جاعلين إياهم عرضة لأحكامهم، وهذا ما كان يفعله المرتزقة الأجانب في البلاد، وشاركتهم في هذا التدمير أيضا قوات بيزنطية[٢١]، وكان تواجد أعداد كبيرة من المرتزقة في البلاد يكلف الحكومة أموالا طائلة لدرجة أن بعض الأباطرة كانوا يضطرون أحيانا لحل بعض القوات؛ توفيرا للمال[٢٢] كما كان توفير المؤن والطعام لهذه الأعداد الكبيرة يشكل عبئا ثقيلا على خزانة الإمبراطورية، خاصة خلال

فترات المجاعات أو نقص الحبوب، حينئذ يضطر الأباطرة إلى اتخاذ قرارات استثنائية للتخلص من عبئهم(٢٣).

وتزداد حاجة الجيش للمؤن حينما يقرر القائد غزو أرض بعيدة مثل أراضي المسلمين، وخاصة إذا كانت هذه الأرض جرداء تفتقر إلى الغذاء والعشب بسبب كثرة تعرضها للدمار، لذا أمرت الكتابات العسكرية القائد في حالة غزو أراضي المسلمين وأراضي البلغار أن يحمل معه ما يكفيه من المؤن والشعير؛ لأن الجوع سيجبر القوات على التراجع عن حصار أراضي العدو(٢٤).

وهنا يجب أن ننوه إلى الحملة الخافقة التي شنها مانويل كومنين على مصر، طمعا في الاستيلاء على خيراتها، فشارك في الحملة الصليبية التي هاجمت مصر عام ١١٦٩ م، لكن يبدو أن الإمبراطور مانويل قد استهان بهذه الحملة، ولم يقدم لها الإمدادات من الحبوب سوى ما يكفي مدة ثلاثة أشهر فحسب، وقد طالت مدة الحصار على مصر لأكثر من خمسين يوما، فتعرض الأسطول البيزنطي بقيادة أندرونيقوس إلى مجاعة، بسبب نقص المؤن وعدم توافر الأموال لشرائها، فقرر العودة إلى بيزنطة يجر أذيال الخيبة(٢٥).

وقد أكدت القوانين العسكرية ضرورة الحفاظ على صحة الجنود، وأن يخضع طعامهم وشرابهم لإشراف خبير الأغذية، وعلى القائد ألا يهمل تحضير وجبات الطعام للجيش في اليوم السابق للمعركة، ويوم المعركة لابد أن يحصل الجنود على وجبة الطعام الرئيسة مبكرا؛ كي يتمتعوا بصحة جيدة، وعندما ينتقل الجندي إلى أرض المعركة يحمل حقيبة في سرج جواده بها

وجبة أو اثنان من الخبز أو الشعير أو وجبة مسلوقة أو رقائق أو لحم، فضلا عن قارورة من الماء، وحذرت القوانين العسكرية القائد بأنه إذا لم يمد جيشه بالغذاء والمؤن الهامة فإنه يعد نفسه مهزوما دون أن يحارب العدو؛ لأن ندرة الغذاء أو انعدامه لكل من الجنود والخيول تجعل الجيش يتهاوى[٢٦]، وأمرت القائد أيضا أن يهتم بتوفير إمدادات يوم أو يومين من العشب أو القش أو الشعير للحيوانات عندما يقترب وقت المعركة، ومن الممكن أن يستخدم الأكياس المليئة بالقش (قشور الشعير) التي بحوزته في صد القذائف الثقيلة. وإذا أراد القائد تغيير الموقع العسكري فعليه أن ينقل ما يكفي من العشب والتبن مدة يوم أو يومين إلى الموقع الجديد، ربما لا يستطيع الخدم جمع الأعلاف أو رعي الخيول[٢٧]، لذا كان مفروضا على كل إقليم أن يقدم للحكومة البيزنطية كمية من الحبوب والأعلاف من أجل الجيش، وتلبية للخدمات الإمبراطورية، فيما يتعلق بماشية الذبح والحملان وما شابه ذلك، والخبز وغيره، حيث كان على كل بروتونتاريوس Protonotarios في كل ثيم أن يزود الإمبراطور بكل ما يحتاجه حينما يمر الإمبراطور من الثيم الخاص به، من خلال ما يجمعه البروتونتاريوس من ضريبة الأرض العادية والمنتظمة والتي تسمى سينوناي Synonai ومن الاحتياطي المحلي المتبقي من ضريبة الأرض في الثيم ويسمى إيريكون aerikon، ويتم التعامل مع ذلك من خلال الإيديكوس Eidikos ؛ ليتمكن الأباطرة من إقامة المآدب للقادة والجيش وأسرى الحروب[٢٨]. فكان الخارتولاريوس Chartoularios الخاص بالإسطبل يتسلم الشعير لمجموعات الحيوانات والأحصنة ذات السروج من البروتونتاريوس ويحدد حصة من الشعير لكل حيوان وفقا

لتصنيفه، وفي الوقت نفسه كان على البروتونتاريوس أن يحافظ على الشعير بأمر إمبراطوري. أما قومس Komes الإسطبل فيتسلم شحنات الشعير التي تقدم إلى الإمبراطور كهدايا من الفلاحين ، موضحا الكمية الموجودة بالتنسيق مع الإيديكوس وكتاب العدل الذين يدونون هذه الكميات في سجلات، ويتم ذلك بعد تسريح الجنود؛ حيث يقوم البروتونتاريوس والخارتولاريوس بعملية الحساب في مكتب الإيديكوس[٢٩] ويبدو أن وفرة الحبوب كانت قادرة على تغيير مسار الحرب لصالح من يمتلكها حيث استطاع مانويل كومنين أن يخدع برداس سكليروس Bardas Skleros الذي كان محاصرا له في نيقية بأن ملأ مانويل صوامع نيقية بالرمال ووضع الحبوب فوق الرمال وأخذ أحد الأسرى من سكليروس وتظاهر مانويل بأن لديه ما يكفي من المؤن مدة سنتين ولا يخشى الحصار، فلما عرف سكليروس اقتنع بالتصالح وخرج مانويل مع جيشه ومواطني نيقية، يحملون معهم إلى القسطنطينية كل ما يملكون ، وبعد أن سيطر سكليروس على نيقية اكتشف الخدعة[٣٠].

ولأن كثيرا ما كان الجنود الأكثر شرا يعتدون على أراضي الفلاحين، ويسرقون محاصيل الحبوب ليلا على الخيول ويبيعونها[٣١] ؛ فإن القوانين العسكرية فرضت على رجال الجيش بأنه إذا ألحق أحدهم الضرر بأحد دافعي الضرائب ورفض تعويضه، فإن عليه تعويضه ضعف القيمة التي سبب له الضرر فيها[٣٢].

ورغم هذا القانون وغيره من وسائل ردع الجنود عن الأراضي الزراعية إلا أن الأراضي الزراعية والممتلكات الخاصة بأصحاب البلاد والأجانب كانت عرضة للسلب والنهب والتدمير، الذي يزداد كلما زاد عدد الجيش؛ حيث

تصبح الفرصة أكبر لممارسة العنف وإسقاط كل شيء دون رحمة؛ لدرجة أن القوات المحلية أيضا كانت تتحول إلى أعداء في تجاوزاتها على الأراضي البيزنطية؛ لذا أمرت الكتابات العسكرية القائد البيزنطي ألا يمكث وقتا طويلا في الأراضي البيزنطية حينما يقرر محاربة العدو؛ لأنه بذلك يستهلك محاصيل البلاد، ويضر أهالي بيزنطة أكثر من الأعداء، وأمر الجنود أن يتجنبوا السير بالأراضي الزراعية، سواء المزروعة بالكروم أو غيره، وأن يسلكوا طرقا غير مزروعة، وعلى جنود الأسطول الذين تضطرهم الظروف إلى الرسو في أي مكان ألا يلحقوا الأذى بسكان هذه المناطق أو يستولوا على ممتلكاتهم ومحاصيلهم (٣٣). وتصف آنّا كومنينا حال الجيش في عهد أبيها ألكسيوس بأن الجنود كانوا موزعين في جميع أنحاء بيزنطة، ولم يكن يردعهم رادع، ولا يزجرهم زاجر، وكان ألكسيوس يخشى دائما ما طُبع عليه هؤلاء الجند من سوقية لا سيما ما تمليه عليهم أصولهم المتباينة، وكان يتوجس منهم خيفة أن يقوموا بتدبير انقلاب ضده. (٣٤). أما أصحاب الأراضي الزراعية فكان العبء ثقيلا عليهم بسبب تلك الضرائب والخدمات الإجبارية والاستثنائية التي كانت تفرضها الدولة عليهم وعلى المؤسسات بصفة عامة، والدليل على ذلك الالتماس الذي قدمه ميخائيل آتالياتيس Michael Attaliates إلى الإمبراطور نقفور الثالث بوتانياتيس Nikephor III Botaniates (١٠٧٨ – ١٠٨١م) فيما يخص ممتلكاته في رايدستوس Rhaidestosوفي ثيمي مقدونيا، وتراقيا الذين كانا عرضة للسلب والنهب يوميا من كل مستغل، وكان آتالياتيس قلقا جدا على بيته وممتلكاته في هذه المناطق، فأصدر نقفور مرسوما Chrysobull يعد تأكيدا للمرسوم الذي

أصدره الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس (١٠٧١ – ١٠٧٨ م) من قبل، إكراما لشخص هذا الرجل الذي كان يشغل منصب قاضي الجيش، وأشار فيه نقفور إلى إخلاصه وولائه الشديد له وإنجازاته الكثيرة في البلاد، وتم تسجيل هذا المرسوم في مكتب لوغوثيت الخزانة Logothete of the genikon ، وأمر فيه نقفور أن تؤمن جميع ممتلكاته – مهما كان عددها أو طبيعتها– من أي انتهاكات، حتى وإن زادت هذه الممتلكات مع الوقت، ولا يخشى سكانها من زيارة القضاة أو الوكلاء الماليين أو الجنود أو مساحي الأرض أو جباة الضرائب أو من رؤسائهم، وعلى الجميع الحفاظ على حرمة هذه الممتلكات للأبد، وأن يتم تجنبها تماما، وإبعادها عن أي مشكلات، وأن تدفع ماعليها من ضرائب سنوية، وألا تخضع لأي أعباء أو ضرائب أخرى مبتكرة سواء صغيرة أم كبيرة وألا يتم تعديل ما عليها من ضرائب، وتعفى من أي أعمال إجبارية أو إضافية مفروضة حاليا أو تفرض لاحقا(٣٥) .

وأكد نقفور ضرورة أن تكون هذه الممتلكات بمنأى عن طريق مرور الجيش، وعن رؤساء الخزانة العامة فيستياريتاي Vestiaritai، وعن الرسل Mandators، وعن أي وكلاء إمبراطوريين آخرين يأتون إلى هذه الثيمات في أي نوع من الأعمال أو يمرون بها في طريقهم، وألا يتم مصادرة حيوانات هذه الممتلكات أو إخضاعها لأي عمل إجبارى ، وألا يتم إجبار صاحبها أو العاملين فيها على توفير المؤن من نبيذ، وقمح، وشعير، وشوفان، وزيت، وبقوليات، وحبوب بكافة أنواعها وأي مؤن أخرى تقدم للقضاة أو الوكلاء الإمبراطوريين أو غيرهم من المبعوثين الأجانب أو الجيش أو تجهيز جنود البحرية وقطع المجاديف ونقلها أو تسكين الجيوش المتجهة إلى الحرب

والعائدة منها أو إيوائها، من ضباط التاجماتا أو الثيمات أو الروس أو الفارانجيان أو اللاتين أو البلغار أو المسلمين أو أي مرتزقة آخرين، فضلا عن إعفائها من دفع ضرائب بناء القلاع، وشراء البغال، وضريبة الموقد، وتعبيد الطرق، وبناء الجسور، وهكذا منحه نقفور حصانة كاملة لجميع ممتلكاته[٣٦]. ويبدو أن آتالياتيس كان يسعى بهذا الالتماس لتجنب مصادرة ممتلكاته مثلما حدث معه في عهد إسحاق الأول كومنين Isaac I Comnenus (١٠٥٧-١٠٥٩م) [٣٧].

وإذا أمعنا النظر في هذا الالتماس الذى صدر في عهد الإمبراطور نقفور الثالث الذي سبق عهد الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين مباشرة نستشف أن معظم –إن لم تكن جميع– الأراضي الزراعية كانت يوميا عرضة للسلب والنهب من جهات عدة، خاصة إن كانت هذه الأراضى تقع على الطرق الحيوية المهمة، وأن الضرائب لم تكن ثابتة حيث كان هناك ضرائب كثيرة استثنائية تندرج تحت مسميات عدة، بالإضافة إلى أنه كان على المزارعين إمداد جميع المارة من (قضاة، ووكلاء إمبراطوريين، وسفراء، وجامعي ضرائب، وجنود وغيرهم من أصحاب النفوذ) بجميع ما يحتاجون إليه في طريقهم من مؤن أو حيوانات باسم المصادرة للصالح العام، فضلا عن إجبار المزارعين بإيواء المرتزقة من الجنود فترة الشتاء وإمدادهم بكل ما يحتاجون إليه دون أن يكون لأحد الحق في الاعتراض. وهكذا نلحظ الظلم الشديد الذي كان واقعا على كاهل أصحاب الأراضي الزراعية وأصحاب الممتلكات من جانب الدولة والجيش على السواء. لكن خدمة آتالياتيس الوفية للإمبراطور شفعت له، وتم إعفاؤه من معظم الضرائب الإضافية.

وفي إشارة عابرة أماط يوحنا كامينياتاJohn Kaminiata اللثام عن ضريبة أخرى كانت تفرض عليهم وتخص مرتبات كبار القادة في تسالونيك، حيث يذكر أن الإستراتيجوس في تسالونيك لم يكن يتسلم راتبه من الخزانة الإمبراطورية بل كانت تفرض ضريبة خاصة في الثيم من أجل هذه الرواتب السنوية [٣٨]. وكان للخيول والحيوانات أهمية خاصة لدى الحكومة البيزنطية لاعتمادها عليها في الحروب، ويتم تربية الخيول – من جميع الأنواع سواء باهظة الثمن أو الخيول العادية – وكذلك البغال في المزارع والإسطبلات الإمبراطورية الموجودة في المقاطعات الكبرى مثل قبادوقيا. ويبدو جليا الانكماش الإقليمي للبيزنطيين في آسيا الصغرى وجنوب إيطاليا بعدما كانت آسيا الصغرى مصدرا مهما للماشية في العاصمة، ومصدرا للخيول، وكانت أيضا جنوب إيطاليا منطقة لتربية الماشية، وكان فقدان تلك المقاطعات يعني زيادة الاعتماد على تراقيا، وبلغاريا، ومقدونيا، وإلى حد ما صربيا، بوصفها مصادر للحوم والخيول، فضلا عن تربية الحيوانات وتربية الخيول على نطاق واسع في الأراضي البيزنطية[٣٩] . والحقيقة أن الأباطرة كانوا يهتمون بجمع الخيول والحيوانات؛ لأن الجيش حينما يتعرض لنقص الخيول أو الإمدادات فإنه يكون في محنة[٤٠]، وهذا ما حدث مع يوحنا كومنين في حروبه مع المجريين عام ١١٣٠م حينما انسحب البيزنطيون تاركين وراءهم الخيمة الإمبراطورية وبعض الأشياء الأخرى؛ لعدم توافر حيوانات الحمل فاستولى عليها المجريون[٤١].

وكانت كل قرية في الولايات البيزنطية بحاجة لتربية بعض الثيران للحرث أو للنقل وكذلك الحمير، والأغنام للصوف واللحوم، والحيوانات الأخرى مثل

الأبقار والماعز والخنازير والدواجن للتموين والأكل والتجارة، واشتهرت بثينيا بكونها تمد القسطنطينية بحيوانات الذبح منذ القرن العاشر الميلادي، ونلحظ الاهتمام بقطعان الحيوانات بصفة عامة في بيزنطة؛ حيث كان بعض الأفراد والمؤسسات الكنسية تمتلك الآلاف من الأبقار، والثيران، والبغال، والخراف، فضلا عن الخيول(٤٢).

أما بالنسبة للحبوب وزراعتها فإنه كان من المعتاد عند بناء أي مدينة جديدة أن يقوم الأباطرة ببناء الكنائس، وصوامع الحبوب، وصهريج الماء، والأروقة، والحمامات (٤٣). وكان من المعتاد حفظ الحبوب في الصوامع العامة ووضع الحراسة عليها(٤٤). وهناك قوانين وضعتها الدولة للحفاظ على المحاصيل الزراعية والحد من احتكار الحبوب، أهمها أنه من حق أي شخص أن يحتفظ بكميات محدودة من الحبوب والنبيذ من أجل معيشته، ومن يحتفظ بكميات خادعة وغير معروفة تخالف القواعد والمعايير المعترف بها رسميا، فهؤلاء يجب جلدهم مثل المجرمين، وفي الوقت نفسه إذا أخذ المزارع نصف حصة المزرعة من الحبوب وأهمل حرثها في الموسم المناسب أو تأخر في زراعة الحبوب فلا يحصل على أي ربح من المحاصيل لأنه أهملها(٤٥).

وهناك قوانين أخرى وضعتها الحكومة لتنظم العلاقة بين الفلاحين وبعضهم، وتحافظ على حقوق الملكية في عمليات البيع والشراء، وزراعة الأرض وغيرها، منها أن الفلاح الذي يدخل أرضا دون علم صاحبها ويحرثها ويزرعها فلا يحصل على شيء من المحصول، وعندما يتفق اثنان من الفلاحين على زراعة موسم ثم يقرر أحدهما أن يلغى الاتفاق فلا يستطيع في

حالة ما إذا كانت الأرض قد زرعت بالفعل، أما إذا كانت الأرض لم تزرع فمن الممكن حل الاتفاق[٤٦].

كان نظام الحق الضريبي يباع للأقوياء ذوي السلطة، ويعد أحد الأوضاع القانونية المعترف بها، وفيه خضع المزارعون دائما لزيادة هائلة في الرسوم الاستثنائية، وتعرضوا للسخرة، وفي حال عجزهم عن الدفع فإن ممتلكاتهم كانت تؤول للبيع، ويدخلون في خدمة الأقوياء[٤٧]. ويبدو أن الأعباء على الحكومة البيزنطية كانت ثقيلة أيضا، فبالإضافة إلى متطلبات الجيش والبلاط الإمبراطوري كان هناك الأسرى والسجناء الذين تغص بهم السجون البيزنطية ويحتاجون للخبز والماء على الأقل، وهما الطعام الرئيس حتى وإن حرموا من أي طعام آخر[٤٨]. فضلا عن بعض العادات التي ارتبطت بتقديم الشعير لبعض الأفراد، منها عند عقد سباق العربات الحربية، وبعد الانتهاء من الهتاف يذهب الثيساريوس Thessarios ويحصل على هديته المعتادة وهي عبارة عن ثلاثة تاجاريا Tagaria كاملة من الشعير، وثلاثة حزم من القش (الحشيش المجفف)، ويذهب على الفور إلى الإسطبل[٤٩].

وكانت الحكومة البيزنطية أيضا ملتزمة ببنود اتفاقيات مع بعض الجاليات الروسية داخل الإمبراطورية، وهذه البنود كانت تشكل عبئًا آخر على ميزانية الحكومة، فنجد في معاهدتي ٩١١ م و ٩٤٥ م أن الحكومة البيزنطية تسمح للتجار الروس بالبقاء داخل البلاد ما عدا فصل الشتاء، وتمنحهم الإمدادات اللازمة لمدة ستة أشهر، بالإضافة إلى منح شهرية يحصلون عليها وفقا للمدينة التي قدموا منها، فتجار مدينة كييف Kiev أولا،

ثم الذين جاءوا من تشيرنيجوف Chernigov وبيرياسلاف Pereyaslav والمدن الأخرى، وتضمنت الإمدادات الخبز، والنبيذ، واللحم، والسمك، والفاكهة، وعند عودتهم إلى روسيا يحصلون من الإمبراطور على المؤن والمراسي والحبال والأشرعة وأي أغراض أخرى يحتاجونها [٥٠]. بالإضافة إلى أن البروتونوتاريوس في كل ثيم كان يسلم كل واحد من الأسرى المسلمين المعمدين في الثيم ثلاث نوميزمات، وست نوميزمات أخرى من أجل زوج من الثيران، وأربعة وخمسين مكيالا من القمح، وكان الفرسان ورجال البحرية منهم يحصلون على ملكية ثابتة وأراضٍ[٥١]. مع الأخذ في الاعتبار أن الإمبراطور البيزنطي كان حريصا على أن يظهر في الولائم الإمبراطورية والمآدب جميع الأصناف التي تخرجها الأرض؛ تفاخرا بكونه حاكما عظيما، تخضع لسلطته مساحات شاسعة من الأراضي[٥٢]. جميع هذه الأعباء وغيرها كان على ألكسيوس كومنين أن يواجهها بعدما اعتلى العرش الإمبراطوري؛ حيث كانت أحوال الإمبراطورية في غاية التدهور، فاضطر إلى اللجوء إلى ممتلكات الكنائس، لكنه لم يصادرها، بل وضع إدارتها تحت إشراف أشخاص تابعين لحكومته، ليستطيع الحصول على ريعها، وأشارت الأميرة آنّا كومنينا أن هذا القرار شمل جميع الأديرة والمزارات المقدسة والكنائس، فضلا عن أنه أخذ بعض الآثار المقدسة الموجودة في الكنائس منذ زمن بعيد وباعها [٥٣].

ويبدو أن ألكسيوس قد اتبع سياسة إسحاق الأول كومنين بين عامي (١٠٥٧ – ١٠٥٩م) حينما أقدم علي خطوة مهمة بسبب احتياجه للمال، بعدما قرر تقوية الجيش وتسليحه؛ حيث عين جباة ضرائب قساة، وحاول جمع المال من جميع المصادر مثل صياد جشع، وأخذ يستولي على

الأراضي الزراعية لنفسه ؛ ومن ثم حرم الكثير من الأفراد من ممتلكاتهم بغض النظر عن المراسيم التي كانت قد منحت لهم من قبل فاستولى على ممتلكات الأديرة دون موافقتها، وبرر ذلك بأنه ترك للرهبان ما يكفيهم في حياتهم ولم يحرمهم من احتياجاتهم الضرورية، وأنه حرر المزارعين من الأعباء الثقيلة التي كانوا يؤدونها للرهبان مقابل استئجار أراضيهم وعقاراتهم المجاورة، وعندما يجبرونهم على تسليم الأراضي، حيث كان للرهبان نفوذ ملكية الأرض والمال، فضلا عن إعفائهم من أي محاسبة في مثل هذه القضايا، مع الأخذ في الاعتبار أن إسحاق لم يقصد في الأساس حماية الفلاحين، بل قصد الاستيلاء على ممتلكات وأراضي رجال الدين والمزارعين على السواء باعتبار ذلك نوعا من التأديب، فضلا عن أنه كان أول إمبراطور يقطع من رواتب موظفي الدولة (٥٤).

لكن الأعباء كانت متزايدة بصورة كبيرة، خاصة في بداية حكم ألكسيوس كومنين، فكما أشارت آنّا كومنينا كانت الخزانة الإمبراطورية خاوية لدرجة أنها أصبحت مفتوحة، بعدما استنزفها نقفور بوتنياتس Nicephorus III Boteniates ، وبدأ ألكسيوس يفكر في جمع المال بكل الطرق، والمثير للانتباه أن الأميرة آنّا كومنينا أشارت إلى معظم – إن لم يكن جميع – التفاصيل في عهد أبيها، ولم تشر إلى طبقة المزارعين وما تعرضوا له بداية من ثورة آل كومنين حتى نهاية عهد أبيها، لكننا نستطيع أن نستشف ذلك من خلال الأحداث، فخلال هذه الثورة اندفع العسكر من أجانب ومحليين نحو القسطنطينية وما جاورها، فانطلقوا في الشوارع والدروب والأزقة ينهبون

ويسلبون كل ما يمرون به، ولم تسلم البيوت أو الكنائس أو الملاجئ من اعتداءاتهم، لدرجة أنهم كانوا يقتلون الناس دون رحمة أو شفقة [٥٥].

حاول ألكسيوس كومنين أن يزود الإمبراطورية بعدد كاف من القوات المحلية لكنه لم يستطع، وأدرك كبار ملاك الأراضي ضعف الحكومة، فتمسكوا بقوتهم الخاصة ولم يزودوا الدولة إلا بعدد قليل من الجنود، لذلك اضطر ألكسيوس إلى الاعتماد على الجنود المرتزقة من الروس، والبشناق، والبلغار، والمسلمين، والنورمان، والإيطاليين والألمان، والفرنسيين، والإسكندنافيين، والأنجلوسكسون، وفي الوقت ذاته كانت العائدات الضريبية قد قلت؛ لأن العقارات الكبيرة سواء علمانية أو كنسية كانت معفاة من دفع الضرائب، أما الطبقة الدنيا فكانت مجردة من ممتلكاتها، وبذلك كانت البلاد شبه مفلسة؛ فاضطر لخفض عملة النوميزماتا البيزنطية التي ظلت سبعمائة سنة محافظة على قيمتها في كل مكان، وترتب على ذلك إعاقة التجارة [٥٦].

أنشأ ألكسيوس مجموعة من الألقاب الجديدة للرتب العسكرية والإدارية، ووزعها على أقاربه وأصدقائه، واعتمد هذا الهيكل الحكومي "الأرستقراطي" على منح الأراضي المعفاة من الضرائب لهذه الشخصيات[٥٧]؛ مما أدى إلى تقلص كبير لاقتصاد الدولة؛ لدرجة أن عائدات بعض المدن كانت تخص أديرة بعينها تابعة لبعض هذه الشخصيات، وذلك مقابل الخدمات العسكرية والإدارية، وفي الوقت نفسه أصبح أصحاب العقارات متميزين بعد إعفائهم من دفع الضرائب عن بقية الفلاحين المستقلين ملاك الأراضي الأخرى وزادت الفجوة بينهم[٥٨].

وهكذا نجد أن الجيش البيزنطي كان يتألف من مجموعتين رئيستين هما: المرتزقة وأصحاب البرونويا Pronoia، وهذه الفئة الأخيرة كانت من الجنود المحليين الذين امتلكوا أراضي بجوار منازلهم، ويبدو أن هذه الأراضي كانت تزداد كلما ارتفعت مكانة الشخص اجتماعيًّا[٥٩] . ولم تشر آنّا كومنينا أيضا إلى ما تعرض له المزارعون وغيرهم من العامة أثناء مرور الصليبيين بالأراضي البيزنطية خلال الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٧م، سوى بصورة عرضية [٦٠]، إلا أن وليم الصوري ذكر لنا في غير موضع تعرض المزارعين للأذى على يد الصليبيين الذين قاموا بسلب أراضيهم ونهبها وحرقها، وسرقة قطعان الماشية والأغنام والدواب منهم، والاعتداء عليهم في إقليم دورازو وغيره في معظم أنحاء البلاد[٦١].

وربما تعمدت آنّا كومنينا عدم التعرض لهذه الفئة التي كانت أهم فئات المجتمع حينئذ؛ لاعتماد البلاد بشكل أساسي على الزراعة كى لا تظهر أباها بمظهر المستبد الذي يفرض ضرائب باهظة على الشعب، أو أنها لم تشر إلى معاناة هذه الفئة تعاليا عليها وعدم اعترافا بأهميتها. وأيا كان السبب فإن آنّا كومنينا تناست هذه الفئة رغم الاعتماد عليها بصورة أساسية في جمع الضرائب، خاصة أن ألكسيوس كانت أعباؤه كثيرة في الإنفاق على الجيش؛ حيث أنفق عليه نفقات طائلة على حد قولها، فضلا عن متطلبات المؤسسات التي أنشأها من ملاجئ ودور للمرضى والمعاقين، وكنائس، وقلاع، كل ذلك فضلا عن الهدايا والمكافآت التي أغدقها ألكسيوس على البنادقة، والرواتب الثابتة التي خصصها لبعضهم، وإعفاء تجارتهم من الضرائب والرسوم بعد

وقوفهم بجانبه ضد روبرت جويسكارد(٦٢). ولا ننسى الهدايا التي أغدقها على الأمراء والقادة الصليبيين في القسطنطينية –والتي أفاضت المصادر في الحديث عنها– لاسترضائهم واتقاء شرورهم(٦٣).

زاد من موقف ألكسيوس كومنين الحرج في توفير الحبوب والأعلاف للجيش صراعه من التركي زاخاس Tzachas الذي اندمج في المجتمع البيزنطي، وتزوج من الطبقة الأرستقراطية، وبمجرد وصول ألكسيوس للعرش فقد زاخاس مكانته في البلاط، فلجأ إلى امتهان القرصنة بعدما جهز أسطولا، وتعاون مع البشناق، وأخذ يستميل المرتزقة الأتراك القادمين من المشرق لمعاونة ألكسيوس بأن يتخلوا عن ألكسيوس وينضموا إليه، وبذلك فقد ألكسيوس أعدادا كبيرة من المرتزقة الذين كانوا قادمين لمساعدته، وأخذ زاخاس يغير على مدن السواحل، واستولى على محاصيل الذرة وغيرها(٦٤).

هكذا تعرض المزارعون لضغط شديد في عهد ألكسيوس كومنين، حيث أن معظم الممتلكات تركزت في أيدي أعضاء أسرة كومنين والعائلات المقربة من البلاط، وكان ألكسيوس يهدف من وراء هذه السياسة خلق نوع من التحالف مع كبار العائلات الأرستقراطية لإعانته على إدارة الإمبراطورية إداريا وعسكريا، وتزايدت أوضاعهم المتدهورة أيضًا في عهد يوحنا الثاني كومنين ؛ جراء جشع العسكريين من ناحية، وكبار الملاك من ناحية أخرى، حتى أصبح معظم المزارعين في عصر يوحنا الثاني كومنين تابعين لا يمتلكون أرضا، بل يعملون أجراء في أراضي كبار الملاك والأراضي الكنسية والديرية، وقد تحولت قرى بأكملها إلى مزارعين تابعين بعدمت تنازلوا عن ممتلكاتهم للأغنياء بسبب الديون المتراكمة عليهم (٦٥). وقد ترك يوحنا لابنه مانويل

خزائن ممتلئة بالأموال من وراء فرض الضرائب الباهظة على حد قول خونياتس، رغم أن خونياتس ذكر في موضع آخر أن يوحنا كان شخصا طيبا، ولم يكن فاسدا، ولا متعجرفا، وأنه حكم الإمبراطورية بشكل ممتاز(٦٦). ومن المؤكد أن الكثير من المزارعين أصابهم الضرر بعدما غضب يوحنا على البنادقة وطردهم من بيزنطة عام ١١٢٢م فقرروا الانتقام منه، وأعدوا أسطولا كبيرا أغاروا به على بعض الجزر الرومانية ونهبوها (٦٧).

وانحدر الوضع بالمزارعين أكثر في عهد مانويل لدرجة أن مجموعات من الأحرار ذوي الأصل النبيل قد وصلوا إلى مستوى العبودية، بعدما اضطروا تحت الظروف القاسية إلى الدخول في خدمة آخرين عاملوهم معاملة العبيد، فكانوا يدفعون لهم أجرًا يوميًا مقابل العمل لديهم، وفرضوا عليهم عقوبات، وعندما ازدادت أعداد هؤلاء في المجتمع البيزنطي أصدر الإمبراطور مانويل مرسومًا أعطى الحق لهؤلاء الذين باعوا أنفسهم بسبب الفقر –وهم في الأصل أحرار– أن يتحرروا من سلطة غيرهم؛ لأنه أراد أن يحكم أحرارًا لا عبيدًا(٦٨). ويؤكد خونياتس أن الرومان كانوا يسخرون من مانويل كومنين؛ لأنه تجاوز جميع الحدود معهم، وبدد جميع الإيرادات التي حصل عليها من الضرائب العادية وغير العادية، ولم يكن له مبرر على الإطلاق، والنار التي ازداد إضرامها بصدور الفلاحين كانت قادرة على حرق كل شيء، ويعلق خونياتس بأنه كان يجب على الرومان أن يستجمعوا قوتهم ويطردوا الأجانب من الأراضي البيزنطية التي انتشروا فيها حينئذ(٦٩).

وزاد العبء أكثر على البيزنطيين خلال الحملة الصليبية الثانية عام ١١٤٧م التي قال كيناموس عنها إن عدد الصليبيين فيها كان لا يحصى ولا

يعد، وكانوا قد أرسلوا مبعوثين إلى الإمبراطور مانويل في أواخر عام ١١٤٦ م يطلبون الإذن بالمرور عبر الأراضي البيزنطية، وطلبوا منه إقامة الأسواق ليتمكنوا من شراء الغذاء والحبوب لهم ولخيولهم. وعلى الرغم من المفاجأة وضيق الوقت فقد أمر الإمبراطور مانويل بإقامة الأسواق لهم على جانب الطرق، وتوفير كل ما يحتاجونه من إمدادات، وأخذ عليهم القسم بأن يعبروا الإمبراطورية دون الاعتداء على أراضيها، وفي الوقت نفسه أعلن الإمبراطور حالة الطوارئ في البلاد، وأمر بتحصين البلاد وإعداد الجيوش تحسبا لأي موقف عدائي قد يصدر من الألمان، وعندما نزل الألمان فيليوبوليس Philipopolis استولوا على الحبوب من المقاطعة دون أن يدفعوا ثمنها، وهذه كانت بداية الأزمة بين الجانبين، وبعدها تأججت العداوة بين الجانبين، ورفعوا الأسلحة ضد بعضهم، وأخذ الصليبيون يسرقون وينهبون السهول، فنصب البيزنطيون لهم الكمائن، وأخذوا يقتلونهم في المناطق الجبلية؛ لدرجة أنهم كانوا يخلطون الكلس (الجير) بالشعير ويبيعونه لهم بمبالغ كبيرة ليقضوا عليهم(٧٠).

وفي مارس ١١٥٨ م أصدر مانويل مرسوما كان في صالح المؤسسات الكنسية ضد صغار المستأجرين وأمر فيه ألا يتعدى أي شخص على ممتلكات الأديرة في أي مكان بالإمبراطورية، وعلى إثر ذلك المرسوم لم ير أي راهب ماثلا أمام المحكمة، لأنه لم يعد هناك سبب يدعوهم للمثول أمام رجال القضاء(٧١). ولم يقتصر الضغط على المزارعين والعامة في عهد

مانويل فحسب، بل استمر في عهد ابنه ألكسيوس الثاني الذي كان بالكاد قد وصل سن البلوغ حينما تقلد العرش، ولم يلتفت إلى واجباته، والتف حوله أقاربه، واستولوا خلسة على الإيرادات العامة، وأخذوا ينفقونها ببذخ، واستمر حكمه مدة ثلاث سنوات عانت خلالها البلاد من الطغاة المستبدين [٧٢].

الخاتمة

تتبعت الدراسة وضع المزارعين في عهد كل من الإمبراطور ألكسيوس كومنين ومانويل كومنين والقوانين التي فرضت عليهم والأعباء المتزايدة التي تعرضوا لها والوضع الذي وصل إليه الكثير منهم، وخلصت الدراسة إلى ما يلى:

-اعتمدت الحكومة البيزنطية بشكل أساسي على ضريبة الأرض؛ خاصة في تموين الجيش المحلي والمرتزقة وتلبية حاجات البلاط الإمبراطوري.

- مع أن الأراضي البيزنطية كانت شاسعة الامتداد فإن فئات بعينها سيطرت عليها واستأثرت بخيراتها وتمثل ذلك في الحكومة البيزنطية وكبار رجال الدولة من الطبقة العسكرية والأرستقراطية، ولم تكن هذه الفئات تزرع الأرض بنفسها بل كانت تؤجرها لصغار المزارعين، وهؤلاء يقع على كاهلهم مسئولية دفع الضرائب للدولة وعادة ما كان يقوم بجمعها موظفون إمبراطوريون لا يعرفون الرحمة ولا يكترثون لدموع الفقراء.

- فرضت الحكومة البيزنطية ضرائب متعددة على المزارعين، وكانت متنوعة ومبتكرة بحجة أنها للصالح العام وإمداد الجيوش المنتشرة في جميع أنحاء الإمبراطورية، وقد تعرضت الأراضي الواقعة على الطرق الحيوية للضرر الأكبر بسبب اعتداء الجنود عليها الذين كانوا من أصول وجنسيات متباينة، ولم يشغلوا بالهم بأي ضرر يلحق المزارعين؛ لذلك حرصت الكتابات العسكرية على تحجيم هؤلاء الجنود بفرض العقوبات عليهم، وأمرت القائد

البيزنطي ألا يطيل المكوث في الأراضي البيزنطية حينما يقرر الخروج لمحاربة الأعداء.

-كان مفروضا على جميع الأقاليم البيزنطية تقديم كميات معلومة من المحاصيل للجيش، فضلا عن أعداد من الحيوانات كانت تصادر من المزارعين لصالح الدولة، ويتم جمعها تحت إشراف مسئولين إمبراطوريين.

-حينما تقلد ألكسيوس العرش الإمبراطوري كانت الخزانة خاوية، وفي الوقت نفسه كان مضطرا لجمع المال بشتى الطرق من أجل تموين الأعداد الكثيرة التي جمعها من المرتزقة، وزاد الوضع تأزما مرور الحملات الصليبية من الأراضي البيزنطية؛ نظرا للاحتكاك الذي حدث بين الجانبين واعتداء الصليبيين على الأراضي البيزنطية.

-وصل الحال بالبيزنطيين في عهد مانويل كومنين أن أصبح الكثيرون منهم بمنزلة العبيد، يعملون بالأجرة عند الأسياد الذين عاملوهم مثل العبيد، وفرضوا عليهم الكثير من العقوبات، فأصدر مانويل مرسوما حرر به من العبودية كل من وُلد حرا ؛ لأنه أراد أن يحكم أحرارًا لا عبيدًا .

الهوامش

(1)Choniates ,N., *Annals, O City of Byzantium*, trans. H. J., Magoulias, Wayne State University , 1984,p. 278 . See also: Laiou, A. E. and C., Marrisson, *The Byzantine Economy*, Cambridge University Press, 2007, p.17.

(2)Leo III and Constantine V, *A manual of Later Roman Law the Ecloga, Founded Upon the Ecloga of Leo III and Constantine V , of Isauria , and on the Procheiros Nomos of Basil I , of Macedonia , including the Rhodian Martime Law*. trans . E. H., Freshfield , Cambridge , 1927,p.53.

(3)Laiou and Marrisson , *The Byzantine Economy*,pp.65-66,97-98.

- يبدو أن القمح كان أنواعا، منه الرديء والفاخر، إذ يشير خونياتس أن الأباطرة كانوا يقدمون أجود أنواع القمح على المآدب. انظر: Choniates, *Annals*,p.144.

(4)Leo the Deacon ,*Byzantine Military Expansion in the Tenth Century*, trans . A.M., Talbot and D. F., Sullivan , Washington, D.C., 2005, p. 46 ;

هالدون (أ. د. جون)، *بيزنطة في حرب ٦٠٠ – ١٤٥٣*، ترجمة/ فتحى عبد العزيز محمد، وأشرف صالح محمد سيد، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الطبعة الثانية، ٢٠١٢، ص٧٥ .

(5)Choniates, *Annals*,p.116.

- السنة البيزنطية جزء من الدورة الضريبية، وتبدأ في الأول من سبتمبر. انظر:

Leo the Deacon ,*Byzantine Military Expansion*,p.19.

(٦) أنا كومنيناس، *الألكسياد*، ترجمة حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م. ،ص٣٥١.

(7)Brand,C.M.,''The Turkish Element in Byzantium , Eleventh-Twelfth Centuries'' , *Dumbarton Oaks Papers*, Vol . 43 (1989),pp.3-4.

(8)Choniates, *Annals*,p.11.

(9)Choniates, *Annals*,pp.115-116,119 .

(10)Choniates, *Annals*,pp.xix,7,32-33.63

- اللوغوثيت تو دورمو أو رئيس ديولن البريد كانت له مسئوليات متعددة منها حماية الإمبراطور، وتنظيم المراسم الإمبراطورية، والإشراف على البريد الإمبراطوري، والعلاقات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية، وتنظيم الاحتفالات المختلفة، وجمع المعلومات الاستخباراتية، وكان مسئولا عن استقبال السفراء الأجانب، وكتابة التقارير عن وضع

العامة في مختلف الأقاليم، والإشراف على المسئولين في الأقاليم أيضا، فضلا عن مسئوليات أخرى. انظر:

Genesios , *On the Reigns of the Emperors*, trans .A., Kaldellis, Canberra , 1998,p.123 ; Skylitzes, J., *A Synopsis of Byzantine History 811 – 1057* , trans.J., Wortley ,Cambridge University press , 2010,p.470; Attaleiates , *The History*, trans . A., Kaldellis and D., Krallis, Harvard University Press,2012,pp.615-616.

(١١) أنا كومنينا، *الألكسياد*، ص٥٦٤.

(١٢) آنّا كومنينا، *الألكسياد*، ص٣٦٩.

Ashburner,W.,"The Farmer's Law (Continued)", *The Journal of Hellenic Studies*,Vol. 32, (1912), p. 70; Laiou and Marrisson, *The Byzantine Economy*, p. 97.

(13)Ashburner,"The Farmer's Law",p.7

- تكدست الثروات في يد الطبقة الأرستقراطية التي كانت تمثل قمة الهرم الاجتماعي في الإمبراطورية البيزنطية بعدما سيطرت على معظم الأراضي الزراعية في البلاد ، وخلال القرن العاشر الميلادي كان من الصعب السيطرة على هذه الطبقة، وحاول الأباطرة في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين سن التشريعات للحد من جشع كبار الملاك هؤلاء، وحماية صغار الفلاحين، ورغم جهود بعضهم الكبيرة في هذا الشأن فإنه بعد وفاة الإمبراطور باسيل الثاني عام ١٠٢٥م بدأ عصر جديد من التسلط الأرستقراطي على صغار الفلاحين. ولمزيد من التفصيل انظر: محمد زايد عبد الله ، *مصادر تاريخ العصور الوسطى(التاريخ البيزنطي)* ، مصر العربية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، ص١٩٦-٢٠٢.

(14)Ashburner,"The Farmer's Law",pp.79,89.

(15)Leo VI, *Taktika* , trans .G.T, Dennis, Washington,D.C., 2010, p. 561.

(16)Choniates , *Annals*,p.412.

(١٧) الهمذاني(أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه)، *مختصر كتاب البلدان*، مطبعة بريل، ليدن،١٣٠٢هـ،(١٨٨٥م) ص١٤٧.

(18)Choniates , *Annals*,p.273.

(19)Haldon,J.F, "Some Aspects of Byzantine Military Technology From the Six to the Tenth Centuries" , *Byzantine and Modern Greek Studies*, Vol. 1, 1975, p. 42.

(20)Leo III and Constantine V , *The Ecloga*, p.159.

(21)Choniates , *Annals*,pp.118-119.

(22)Skylitzes, *A Synopsis of Byzantine History* ,p.444.

- مثلما فعل قسطنطين التاسع مع القوات الأيبيرية التي كانت تخدم في الجيش البيزنطي، حيث قام بتسريحها توفيرا للمال من أجل إنجاز بعض مشروعاته الكبيرة. انظر:
Skylitzes, *A Synopsis of Byzantine History* ,p.444

(٢٣) ليوتبراند ، ليوتبراند *أسقف كرمونا إلى القسطنطينية ٩٦٨م، صفحة من العلاقات الدبلوماسية الألمانية البيزنطية*، ترجمة وتعليق علي أحمد محمد السيد، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٧٥.

- اضطر نقفور فوقاس أمام المجاعة التي اجتاحت البلاد أن يتخلص من القوات التي جمعها، والتي تقدر بثمانين ألفا، وأرسلها لمحاربة المسلمين. انظر: ليوتبراند ، *السفارة*، ص٧٥.

(24)Anonymous, Campaign Organization and Tactics in*Three Byzantine Military Treatises* ,trans.G.T., Dennis , Washington , D.C, 1985, p.305.

(25)Choniates , *Annals*,pp.91-93.

- يعزي يوحنا كيناموس سبب فشل هذه الحملة إلى أن الصليبيين قد تأخروا عن البيزنطيين، وشعر البيزنطيون أنهم غير قادرين على مواصلة الحرب وحدهم فرجعوا إلى بيزنطة، انظر : كيناموس (يوحنا)، *أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس*، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق وترجمة/ سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٧م،جـ ٢٨ ،ص٢٦٥-٢٦٦.

(26)Leo V1 , *Taktika* ,pp.111,271,283-285,337,559.

- طلب كيكاومينوس من الإمبراطور أن يحافظ على الأسطول من التفكك ؛ لأن الكثير من الجنود يحاولون الهروب منه، وبذلك يصبح الأسطول مثل النسر عديم الأجنحة، ووضح نوعية الأكل التي يجب توافرها في الأسطول، وهي الحنطة، والشعير، والجبن، والنبيذ، واللحم، وزيت الزيتون. انظر:

Kekaumenos , *Logos Nouthetetikos or Oration of Admonition to an Emperor of the Strategikon*, trans.W., North , Moscow , 1972,p.10.

- توجب على القائد أن يتوخى الحذر في حالة ما إذا صادف الجيش نبيذا أو خبزا في أرض العدو، وألا يتناول الجنود شيئا منه إلا بعد اختباره عن طريق الأسرى، فإذا ثبت أنه صالح وغير مسموم فيسمح للجنود بتناوله، وذلك حفاظا على أرواح الجنود.

انظر: Leo V1 , *Taktika* , p.415.

(27)Leo V1 , *Taktika* , pp.199,371.

- شدد ليو السادس علي ضرورة حراسة قافلة الأمتعة بشكل جيد، وأن يكون لها قائد؛ لأنها كانت تحتوي على المؤن والمعدات، وكل ما يحتاجه الجنود من خدم وحيوانات تحميل وغيرها، كما صاحبها التجار الذين أكد ليو على ضرورة الاعتناء بأمرهم ومعاملتهم بشكل طيب؛ لأن شكواهم من الممكن أن تجعلهم يتوقفون عن جلب الإمدادات التي يحتاج إليها الجيش. انظر:

Leo V1 , *Taktika* , pp.55,77,95,187,191,193.

- بمجرد أن يتلقى القائد الأوامر بالتحرك بالجيش فعليه جمع قواته، وتحضير مؤن الجيش من الخبز والجبن أو بعض اللحوم المجففة، والأعلاف للخيول والبغال، وحرصت الكتب العسكرية على وضع خطط لتستطيع إمداد المدن المحاصرة بالحبوب؛ حيث أمرت القائد بتقسيم قواته إلى قسمين: القسم الأول يأخذ كل جندي منهم أربعة أكياس من الحبوب على الخيول التي يمتطونها، ويزودهم القائد بخيول أخرى ليس عليها شيء، وهؤلاء لا يحملون إلا الأسلحة التي يدافعون بها عن أنفسهم فحسب، ويقوم القائد وبقية القوات بمباغتة العدو من جانب آخر غير الذي يسلكه الرجال الذين يحملون الحبوب، ويجب أن يصل الفريقان إلى البلدة المحاصرة في التوقيت نفسه، وفي منتصف الليل تقريبا يصدرون أصواتا وضجيجا كما لو أنهم يهاجمون، هنا سيتجه العدو الذي يحاصر البلدة نحو القائد لمهاجمته، وفي الوقت نفسه يستطيع الرجال الذين يحملون الحبوب إمداد إخوانهم في الداخل بها، ويخرجون سريعا دون أن ينتبه إليهم أحد، وأكدت الكتابات العسكرية أيضا ضرورة توفير خدمات إمداد الجيش الذي يقوم بعمليات الحصار من غذاء، وعلف، وغيره. انظر:

Anonymous, *Strategy*, in *Three Byzantine Military Treatises*, trans. G. T. Dennis, Washington, D.C., 1985, p. 47; Anonymous, *Skirmishing*, in *Three Byzantine Military Treatises*, trans. G. T. Dennis, Washington, D.C., 1985, p. 165; Anonymous, *Campaign Organization and Tactics*, p. 227.

(28)Constantine VII Porphyrogennetos , *The Book of Ceremonies* , trans .A., Moffatt and M., tall, Canberra, 2012 , Vol.1,pp.451-452 ; أنا كومنينا، *الألكسياد*، ص٣٢٣، ٦١٦.

- البروتونتاريوس الخاص بالثيم هو موظف رسمي في الحكومة المدنية كان مسئولا عن عرض الأسرى في الهيبودروم، وتنظيم جميع العروض، وقد ترأسه اللوغوثيت تو درومو مباشرة، وربما كان نائبه أثناء غيابه. انظر:

Leo V1 , *Taktika* , p.57; Constantine VII , *The Book of Ceremonies* , Vol.2,pp.609-613; Woodrow, Z. A., *Imperial Ideology in Middle Byzantine Court Culture, the Evidence of Constantine Porphyrogenitus's de Ceremonis* , University of Durham, 2001,p.55.

- الإيديكوسEidikos لقب يطلق على اللوغوثيت تو درومو حيث كان يرأس خزانة خاصة يطلق عليها إيديكون Eidikon أو إيديكوس Eidikos وكانت بمنزلة مستودع

للأشياء الثمينة مثل الذهب، والحرير، ومواد الجيش والأسطول، وتختص بدفع رواتب أعضاء مجلس الشيوخ، وأشير لمكتبه باسم إيديكون Eidikon . انظر:

Constantine VII, *The Book of Ceremonies,*Vol.2,p.829.

(29) Bury, J.B, *The Imperial Administrative System in the ninth century with arevised text of the Kletorologion of philotheos* , London , 1911,p.99 ; Constantine VII Porphyrogenitus, *Three Treatises on Imperial Military Expeditions* , trans.J.F., Haldon , Wien, 1990,117; Constantine VII, *The Book of Ceremonies* , Vol.1,pp.476-477.

- الخارتولاريوس Chartularies مجموعة من الموظفين كانوا مسئولين عن بعض الواجبات المالية، فضلا عن حفظ السجلات في مختلف المكاتب المركزية المحلية سواء مدنية أو كنسية أو عسكرية وفي بعض الأحيان كان الموظف منهم مسئولا عن مكتب بأكمله، ويرأسهم اللوغوثيت تو درومو انظر:

Constantine VII, *The Book of Ceremonies,*Vol.2,pp.827,831.

- Komes قومس: لقب إمبراطوري يطلق على كبار المسئولين سواء أكانوا عسكريين أم مدنيين، أما قومس الإسطبل فكان مسئولا عن قطيع الخيول والبغال في الميتاتا Mitata وتوزيعها في الحملات الإمبراطورية وغيرها، وكان مكتبه على اتصال وثيق باللوغوثيت تو درومو. انظر:

Constantine VII, *Three Treatises*,p.161; Constantine VII, *The Book of Ceremonies,* Vol.2,p.826.

(30)Skylitzes, *A Synopsis of Byzantine History* ,p.307.

(31)Procopius, *History of the wars*, BooksV and VI, trans.J., Ingram,Great Britain,1919, p.355.

(32)Leo V1 , *Taktika*,p.149.

(33)Leo V1 , *Taktika*,pp.155,159,515.

(٣٤) آنّا كومنينا، *الألكسياد*، ص١٣٥.

(35)Attaleiates: *Rule of Michael Attaleiates for his Almshouse in Rhaidestos and for the Monastery of Christ Panoiktirmon in Constantinople*, trans. A. M. Talbot, Byzantine Monastic Foundation Documents, Vol. 1, No. 19, pp. 361-363.

- مدينة تقع على الضفة الأوروبية لبحر مرمرة، وكانت مركزا Raidestos رايدستوس Skylitzesلتجميع الحبوب من السهول المجاورة. انظر:

, *A Synopsis of Byzantine History* ,p.281.

(36)*Attaleiates,Rule* ,pp. 362-363.

- Vestiaritai vestiarion هم موظفون إمبراطوريون يترأسون الخزانة العامة التي يطلق عليها ، وكانت بمنزلة مخزن للأموال والمواد والمعدات اللازمة لتسليح الأسطول. انظر:

Constantine VII , *The Book of Ceremonies,*Vol.2,p.836.

(37)*Attaleiates,Rule,* p.372.

(38)Kaminiates,J.,*The Capture of Thessaloniki*, trans,D., Frendo, A., Fatiou, Australian Catholic University, Perth 2000, p.162.

(٣٩) ليوتبراند، *السفارة*، ص ٦٥ – ٦٦؛

Laiou and Marrisson , *The Byzantine Economy*,p.68,97.

(40)Choniates , *Annals*,p.21.

(٤١) كيناموس، *أعمال يوحنا ومانويل*، ص٣٢-٣٣.

(42)Niketas ,*The Life of ST.Philaretos the Merciful* ,trans.R., Lennart, Uppsala, 2002, pp.63,75 -81 ; Skylitzes , *A Synopsis of Byzantine History*, p. 263 . See also: Charanis ,P.,"The Monastic Properties and the State in the Byzantine Empire", *Dumbarton Oaks Papers* , Vol.4 (1948) ,pp.55-58; Laiou and Marrisson , *The Byzantine Economy*,pp,67-68.

(43)Theophanes the Confessor, *The Chronicle ,Byzantine and Near Eastern History AD 284 – 813,* trans. C.,Mango and R.,Scott , Oxford , 1997,p.231.

(44)Procopius,*History of the Wars*,pp.170-171.

- لم تكن الكمية التي كانت تحفظ في الصوامع الإمبراطورية سنويا لم تكن ثابتة، لكنها قدرت في عهد الإمبراطور جستنيان بحوالى (٣٦٢٩١٧ أردبًا) من الحبوب. انظر:

Procopius,*The Secret History of the Court of Justinian*,Melan,2004,p.315.

(45)Leo III and Constantine V , *The Ecloga*,pp.185,193

- قبل القرن السابع الميلادي كان هناك مختص بشراء الحبوب، وكان مسئولا عن بيع القمح بأسعار معتدلة في أوقات الندرة، وكانت الحكومة حريصة على توفير الخبز للعامة، وتوفير القمح للمخابز، وتستورد القمح من مصر، لكن حدث في عام ٦١٨م أن توقف توزيع القمح العام ولم يستأنف قط، وتقلصت حجم التجارة على جميع المستويات، وتراجعت الأسواق الحضرية بسبب الحروب، لدرجة أن عدد السفن تقلص في القرن السابع الميلاي إلى نصف عدد سفن القرن السادس الميلادي، وفي القرن الثامن الميلادي وصل إلى عشر عدد السفن بعدما فقدت بيزنطة الكثير من الولايات. انظر:

Laiou and Marrisson , *The Byzantine Economy*,pp.34,40,42-43.

(46)Leo III and Constantine V ,*The Ecloga*,pp.183-184

(47)Stephenson ,P. , *Byzantium Transformed , C. 950 – 1200*, Brill, Leiden, 2004, p.194.

- تظهر قسوة جامعي الضرائب تجاه المزارعين بوضوح في موقف القديسة ماري الصغرى-أرمينية الأصل، توفيت عام ٩٠٢م- التي كانت تقيم في تراقيا حينما جاء جباة الضرائب الذين يدعونDioiketes واعتقلوا جميع السكان الذين لم يستطيعوا دفع مستحقات الخزانة ووضعوهم في السجون تحت التعذيب، فلم تتحمل القديسة رؤية سكان بلدتها في السجون يتعذبون، فنظرت إلى ممتلكاتها، فوجدت أنها لن تكفي السد، فاقترضت من بعض أصدقائها ودفعت الضرائب عن سكان بلدتها وحررتهم. انظر:

Life of St . Mary the Younger , trans . A.,Laiou ,in *Holy Women of Byzantium:Ten Saints' Lives in English Translation*, Washington ,D.C., 1996,p.258.

(48)Anna Comnena, *The Alexiad*, trans. E.A.S, Dawes, Cambridge, 2000, p.33.

(49)Constantine VII , *The Book of Ceremonies* , Vol.1,p.311.

- الثيساريوس Thessarios هو الموظف المسئول عن إعلان بدء سباق العربات الحربية في الهيبودروم. انظر:

Constantine VII , *The Book of Ceremonies*,Vol.2,p.835

- تاجاريا Tagarion يساوي ثُمن موديوس modios أو خمسة أرطال Ibs رومانية، وتساوي 1,6 كيلوجرام. انظر:

Constantine VII , *The Book of Ceremonies* , Vol.1,p.311,(n.2).

(50)*The Russian Primary Chronicle Laurentian text*, trans. S.H.,Cross and O.P., Sherbowitz-Wetzor,Cambridge, 1953,pp.65,74-75.

(51)Constantine VII , *The Book of Ceremonies* , Vol.2,pp.694-695.

- كان للإمبراطور البيزنطي دور كبير في تشجيع الأسرى العرب وغيرهم ممن ليسوا على المعتقد المسيحي على التحول للمسيحية، فطبقا لكاتب سيرة القديسة أثاناسيا الإيحينية St.Athanasia of Aegina ثمة مرسوم إمبراطوري ربما أصدره الإمبراطور ثيوفيل (٨٢٩ – ٨٤٢م / ٢١٤ – ٢٢٧ه يقضي بإلزام النساء البيزنطيات غير المتزوجات سواء الأرامل أو العذارى بالزواج من الأجانب المقيمين في بيزنطة، وعليه فإن والدي هذه القديسة قاداها للزواج من أحدهم؛ طمعا في الامتيازات التي تقدمها لهم السلطات البيزنطية، فحينما يتزوج هؤلاء الأسرى المعمدون من أسرة بيزنطية، سواء أكانت عسكرية أم مدنية، فإن هذه الأسرة تعفى من دفع ضريبة الأرض وضريبة الموقد لمدة ثلاث سنوات. انظر:

Life Of St. Athanasia Of Aegina , trans .F., Sherry ,in *Holy Women of Byzantium:Ten Saints' Lives in English Translation*, Washington,D.C., 1996,pp.139,143. See also: Rotman , Y., *Byzantine Slavery and the Mediterranean World* , Harvard University Press , 2009,p.41.

- رغم أن المتعارف عليه هو إلغاء الضرائب لمدة ثلاث سنوات على على الأسرى المعمدين وأسر زوجاتهم،فإن الإمبراطور ألكسيوس أنجيلوس كان أكثر سخاء مع الأتراك، ووزع عليهم الأراضي الخصبة، وقدم لهم الحبوب والبذور لزراعتها ووعدهم بآمال عريضة، ولم يفرض الضريبة عليهم مدة خمس سنوات كاملة، وبعدها قرر فرض ضريبة لا تتجاوز الحد ولا تزداد بمرور الوقت. انظر: Choniates, *Annals*,p.272.

(52)Malmberg, S., " Dazzling Dining: Banquets as an Expression of Imperial Legitimacy " in Eat , Drink and Be Merry (Luke 12: 19) – Food and Wine in Byzantium, , ed.L., Brubaker and K., Linardou , Society for the Promotion of Byzantine Studies , Birmingham, 2007.p.76.

(٥٣) آنّا كومنينا، *الألكسياد* ، ص ٢٠٢-٢٠٣،٢٣٩-٢٤٠ ؛

Charanis ,"The Monastic Properties" ,pp.69,72.

(54)Attaleiates , *History* , pp.111,113,127 .See also: Charanis,"The Monastic Properties" , pp. 67-68.

(٥٥) آنّا كومنينا، *الألكسياد*، ص١١٨،١٤٤.

(٥٦) آنّا كومنينا، *الألكسياد*، ص٤٧٦؛

Katz ,S., "Some Aspects of Economic Life in the Byzantine Empire" , *The Pacific Historical Review* , Vol . 7 , No.1 (Mar. 1938),pp.37-38

(٥٧) آنّا كومنينا، *الألكسياد*، ص١٤٧،١٤١-١٤٨؛

Knigt,R., "The Political Economy of Byzantium:Transaction Costs and the Decentralisation of the Byzantine Empire in the twelfth century", Economic History Working papers, London, 2012-2013, p.6.

(58)Knigt, "The Political Economy of Byzantium",pp.6,8.

(59)Malatras,Ch.,"Social Structure and Relations in fourteenth century Byzantium ", Ph.D. University of Brimingham, 2013,p.11.

- ظهر نظام البرونويا بعدما قامت الحكومة في منتصف القرن الحادي عشر بتوزيع مساحات من الأراضي الزراعية بمن عليها من مزارعين خاضعين للضرائب – باعتبار ذلك حيازة مؤقتة لبعض كبار القادة العسكريين وكبار الموظفين- بديلا عن دفع رواتبهم، وأصبح على هؤلاء المنتفعين بنظام البرونويا تحصيل ما كان جباة الضرائب يجمعونه من المزارعين المقيمين في تلك الأراضي لأنفسهم؛ بدلا من تحصيله للدولة، ولم ترتبط هذه الأراضي -الممنوحة بحيازة مشروطة والممنوع التصرف فيها- بأي سندات للملكية، إلا أن تملك هذه الأراضي أصبح حقا مكتسبا بالتقادم، وصارت هذه المنح قاعدة للخدمة العسكرية بعد عهد الإمبراطور ألكسيوس كومنين، وهذا النظام خلق في بيزنطة مجتمعا من كبار ملاك الأراضي العسكريين. انظر: حسنين محمد ربيع، *دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية*، دار النهضة العربية،القاهرة،١٩٨٣م، ص١٧٣؛ وسام عبد العزيز فرج ،"

الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع"، بحث منشور في كتاب: *بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري*، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص٥٥.

(٦٠) آنّا كومنينا، *الألكسياد*، ٤٠٤.

(٦١) وليم الصوري، *الحروب الصليبية*، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١، جـ١، ص١٥٤،١٢٥-١٥٦، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٠.

(٦٢) آنّا كومنينا، *الألكسياد*، ص١٥٤-١٥٧، ٢٠١، ٢٤٠، ٢٤٦، ٤٠٦-٤٠٩، ٦١٦.

(٦٣) وليم الصوري، *الحروب الصليبية*، ص١٦٦-١٦٧، ١٧٤.

(٦٤) Anna Comnena, *The Alexiad*,p.223. See also: Brand,"The Turkish Element",pp.2-3.

- أُسر زاخاس بواسطة قائد بيزنطي خلال فترة حكم نقفور الثالث بوتانياتيس ، ولتميزه وشجاعته قربه الإمبراطور، وفي المقابل تعهد زاخاس بولائه للإمبراطور نقفور، وقضى بعض الوقت –على ما يبدو- في البلاط وبعدما شعر بقوته ومكانته لم يتردد في الإقدام على الزواج من الطبقة الأرستقراطية البيزنطية، وبمجرد وصول ألكسيوس كومنين إلى العرش عام ١٠٨١م/٤٧٤هـ فقد زاخاس مكانته، فلجأ إلى امتهان القرصنة بعدما جهز أسطولا وتعاون مع البشناق، واستمرت الحروب دامية بين زاخاس وألكسيوس، ثم استطاع ألكسيوس إثارة القلاقل بين زاخاس والسلطان قلج أرسلان بأن أوقع العداوة بينهما، والنتيجة أن قام رجال قلج بالقضاء عليه. ولمزيد من التفصيل انظر:

Anna Comnena, *The Alexiad*,p.223 .See also: Brand,"The Turkish Element",pp.2-3.

(٦٥) محمد زايد ، *مصادر تاريخ العصور الوسطى*، ص٢٠٢.

(66)Choniates,*Annals*,pp.27,35.

(٦٧) كيناموس، *أعمال يوحنا ومانويل*، ص٢٦٧.

(٦٨) كيناموس، *أعمال يوحنا ومانويل*، ص٢٦٢-٢٦٣.

(69)Choniates,*Annals*,pp.41,115.

(٧٠) كيناموس، *أعمال يوحنا ومانويل*، ص٨٠، ٨٣-٨٦؛

Choniates , *Annals*,pp.35-36,39.

(٧١) كيناموس، *أعمال يوحنا ومانويل*، ص ٢٦٣.

(72)Choniates , *Annals*,p.127.

- المصادر الأجنبية:

-Anna Comnena, *The Alexiad*, trans. E.A.S., Dawes, Cambridge, 2000.

-Attaleiates, M. , *History* , trans . A.,Kaldellis and D., Krallis, Harvard University Press , 2012.

-Bury, J.B, *The Imperial Administrative System in the ninth century with arevised text of the Kletorologion of philotheos* , London , 1911.

-Choniates ,N., *Annals, O City of Byzantium,* trans .H.J., Magoulias, Wayne State University , 1984.

-Constantine VII Porphyrogenitus, *Three Treatises on Imperial Military Expeditions* , trans.J.F., Haldon, Wien, 1990.

-……. , *The Book of Ceremonies* , trans .A., Moffatt and M., tall, Canberra, 2012 , Vol.1, 2 .

- Anonymous, Campaign Organization and Tactics in*Three Byzantine Military Treatises* ,trans.G.T., Dennis , Washington , D.C, 1985.

-Genesios , *On the Reigns of the Emperors*, trans . A.,Kaldellis, Canberra , 1998

-Kaminiates,J.,*The Capture of Thessaloniki*, trans,D., Frendo and A., Fatiou, Australian Catholic University, Perth .2000.

-Kekaumenos , *Logos Nouthetetikos or Oration of Admonition to an Emperor of the Strategikon*, trans.W., North, Moscow , 1972.

-Leo III and Constantine V , A manual of Later Roman Law the Ecloga, Founded Upon the Ecloga of Leo III and

Constantine V , of Isauria , and on the Procheiros Nomos of Basil I , of Macedonia , including the Rhodian Martime Law. ed. 1166 A.D , trans .E.H., Freshfield , Cambridge , 1927.

-Leo the Deacon ,*Byzantine Military Expansion in the Tenth century*, trans . A.M.,Talbot and D.F,Sullivan, Washington, D.C, 2005.

-Leo VI , *Taktika* , trans .G.T, Dennis, Washington , D.C, 2010.

-*Life of St. Athanasia of Aegina* , trans .F., Sherry ,in *Holy Women of Byzantium:Ten Saints' Lives in English translation*, Washington, 1996.

-*Life of St . Mary the Younger* , trans .A., Laiou,in *Holy Women of Byzantium:Ten Saints' Lives in English Translation*, Washington , 1996.

-Niketas , *The Life of ST. Philaretos the Merciful*,R., Lennart, Uppsala, 2002.

-Procopius,*The Secret History of the Court of Justinian*,Melan,2004.

-……, *History of the wars*, BooksV and VI, trans.J., Ingram,Great Britain,1919.

-*Attaleiates: Rule of Michael Attaleiates for his Almshouse in Rhaidestos and for the Monastery of Christ Panoiktirmon in Constantinople*, trans. A.M.,Talbot, in **BMFD**, Vol.1, No. 19,pp.17-130.

-Skylitzes, J., *A Synopsis of Byzantine History 811 – 1057* , trans. J.,Wortley , Cambridge University Press , 2010.

-Theophanes the Confessor, *The Chronicle ,Byzantine and Near Eastern History AD 284 – 813,* trans.C., Mango and R.,Scott , Oxford , 1997.

-*The Russian Primary Chronicle Laurentian text*, trans. S.H.,Cross and O.P.,Sherbowitz-Wetzor,Cambridge, 1953.

-المراجع الأجنبية:

-Ashburner,W.,"The Farmer's Law(Continued)", ***The Journal of Hellenic Studies***, Vol.32 (1912) ,pp.68-95.

-Brand,C.M.,"The Turkish Element in Byzantium , Eleventh-Twelfth Centuries" , ***Dumbarton Oaks Papers***, Vol . 43 (1989).pp.1-25.

-Charanis ,P.,"The Monastic Properties and the State in the Byzantine Empire", ***Dumbarton Oaks Papers*** , Vol.4 (1948) , pp.53-118.

-Haldon,J.F, "Some Aspects of Byzantine Military Technology From the Six to the Tenth Centuries", ***Byzantine and Modern Greek Studies***, Vol. 1, 1975.

-Katz ,S., "Some Aspects of Economic Life in the Byzantine Empire" , ***The Pacific Historical Review*** , Vol . 7 , No.1 (Mar. 1938), pp.27-39.

-Knigt,R.," The Political Economy of Byzantium:Transaction Costs and the Decentralisation of the Byzantine Empire in the twelfth century",London, ***Economic History Working papers***,2012-13, pp.1-23.

-Laiou, A. E. and Marrisson ,C. , *The Byzantine Economy*, Cambridge University Press , 2007.

-Malatras,Ch.,"Social Structure and Relations in fourteenth century Byzantium",Ph,D,University of Brimingham,2013.

- Malmberg, S., " Dazzling Dining: Banquets as an Expression of Imperial Legitimacy " in Eat , Drink and Be Merry (Luke 12: 19) – Food and Wine in Byzantium, , ed.L., Brubaker and K., Linardou , Society for the Promotion of Byzantine Studies , Birmingham, 2007.

-Rotman , Y., *Byzantine Slavery and the Mediterranean World* , Harvard University Press , 2009.

-Stephenson ,p. , *Byzantium Transformed , C. 950 – 1200*, Brill, Leiden , 2004.

-Woodrow, Z. A., *Imperial Ideology in Middle Byzantine Court Culture, the Evidence of Constantine Porphyrogenitus's de Ceremonis* , University of Durham, 2001.

<u>– المصادر العربية والمعربة:</u>

–الهمذاني(أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه)، *مختصر كتاب البلدان*، مطبعة بريل، ليدن،١٣٠٢هـ.

– آنّا كومنينا، *الألكسياد*، ترجمة حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م.

–كيناموس (يوحنا)، *أعمال يوحنا ومانويل كومنينوس*، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق وترجمة سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٧م،جـ ٢٨

– ليوتبراند ، *ليوتبراند أسقف كرمونا إلى القسطنطينية ٩٦٨م، صفحة من العلاقات الدبلوماسية الألمانية البيزنطية*، ترجمة وتعليق علي أحمد محمد السيد، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

–وليم الصوري، *الحروب الصليبية* ،ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١، جـ١.

المراجع العربية المعربة:

–حسنين محمد ربيع، *دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية*، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م.

–هالدون (أ. د. جون)، *بيزنطة في حرب ٦٠٠ – ١٤٥٣*، ترجمة فتحى عبد العزيز محمد، وأشرف صالح محمد سيد، دار ناشرى للنشر الإلكترونى، الطبعة الثانية، ٢٠١٢.

– محمد زايد عبد الله ، *مصادر تاريخ العصور الوسطى(التاريخ البيزنطي)* ، مصر العربية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م.

–وسام عبد العزيز فرج ،" الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع"، بحث منشور في كتاب: *بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري*، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

Abstract

The Byzantine lands were distinguished by the fertility of their lands and the diversity of their crops, and despite their vast areas, certain groups dominated them and benefited from their wealth, and at the top of these categories were the Byzantine government, senior army commanders and church institutions. As for the general Byzantine people, despite the fact that groups of them possessed some areas, the vast majority of them were either workers in These lands or their tenants, and in both cases their social conditions were very poor; Because of the many burdens imposed on them, which were varied in the form of increasing and varied taxes under the pretext of the public good of the state, and others in providing supplies to the Byzantine fleet and the armies that were scattered throughout the empire, as well as sheltering them in the winter and providing supplies to other imperial officials and their lands were not far from The assault of soldiers of varying origins and nationalities, and the Crusades came to make matters worse for them during their journey through the Byzantine lands and its aggression against them, and the most important thing for the Byzantine government was to collect money by various means from these miserable people, and the tax collectors did not weaken in front of their pleas, and their social status gradually declined until many of them became like slaves.